مِنْ أسرارِ تنوُّعِ التَّعبيرِ
عنْ عيسى -عليه السلام- في القرآنِ الكريمِ

إعـداد

دكتور/ أحمد رجب حجازي عبد المجيد

مدرس البلاغة والنّقد الأدبيّ والأدب المقارن

كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣م

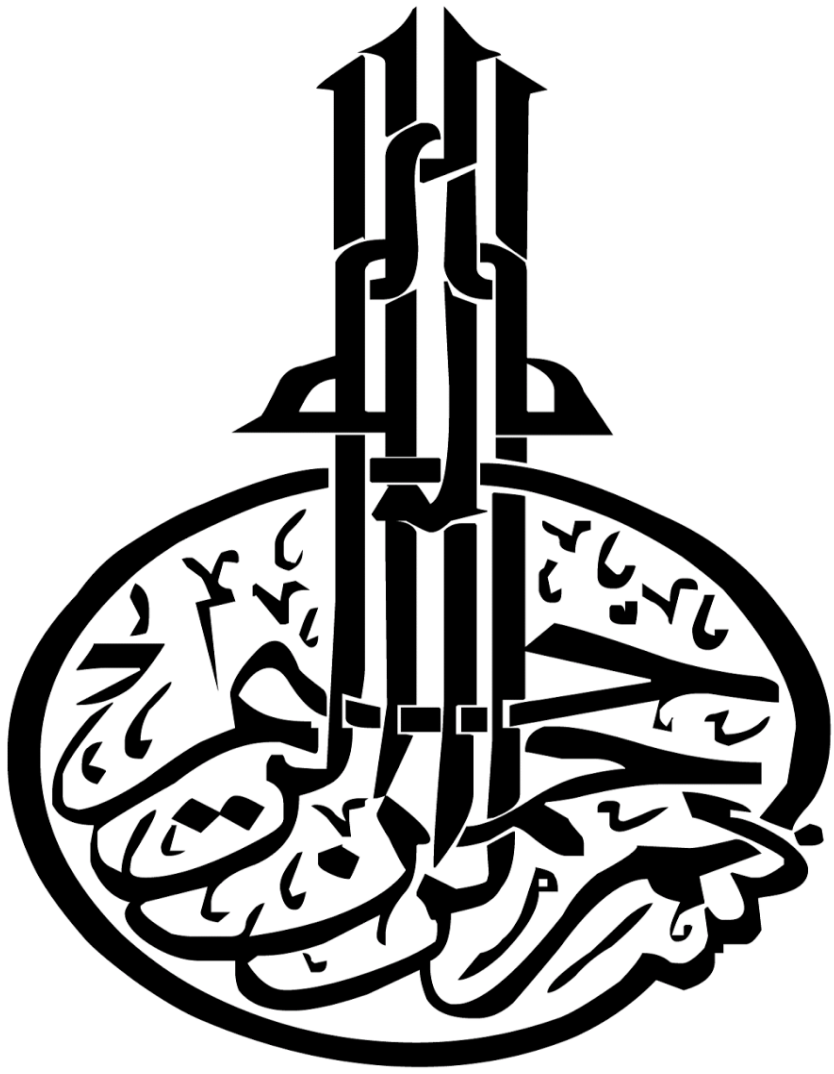

مِنْ أسرارِ تنوُّعِ التَّعبيرِ عنْ عيسى -عليه السلام- في القرآن الكريم

أحمد رجب حجازي عبدالمجيد
قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر.
البريد الإلكتروني:
Ahmed86a2z2@gmail.com

ملخص البحث:

جرت عادة القرآن الكريم علىٰ التَّنويع في تقديم الشيء الواحد للمتلقِّي، فيسميه بأسماءٍ عِدةٍ؛ لمناسبةٍ يقتضيها السياق في كلٍّ، تلك سِمةٌ باديةٌ في القرآن لا تكاد تُخطئها عينٌ أو أذنٌ. ومن هذا التَّنويع ما ورد في ثنايا الحديث عن نبي الله عيسىٰ –عليه السلام، ذلكم النبي الذي يكتنفه الإعجاز في مراحل حياته كلها: في تكوينه جنينًا بلا أبٍ، وفي تكليمه الناس وهو لا يزال في المهد، وفي تأييده بمعجزاتٍ لا تكون لبشرٍ لولا أنَّ الله أذِن له بها، وفي رفعِه إلىٰ السماءِ في حادثةٍ لا سابقة لها ولا لاحقة، وإتمامًا لدائرة الإعجاز هذه ينوع القرآن في التَّعبير عنه بطريقةٍ معجزةٍ كذلك، تلك الطَّريقة التي ليست لأحدٍ غيره في القرآن كله. ويحاول هذا البحث إلىٰ الوقوف علىٰ الأسرار الكامنة وراء اختيار كل تعبيرٍ عن عيسىٰ في مكانه الذي ورد فيه، في محاولةٍ لمساءلةِ السِّياقات عن خصوصياتها التي استدعت تعبيرًا بعينه دون غيره، دون ليٍّ لأعناق الآياتِ، أو تجاوزٍ للأعراف اللُّغوية القارَّة.

ويشتمل هذا البحث علىٰ ستة مباحث؛ الأولُ: المسيحُ عيسىٰ ابنُ مريمَ، والثاني: المسيحُ ابنُ مريمَ، والثالثُ: المسيحُ، والرابعُ: عيسىٰ ابنُ مريمَ، والخامسُ: عيسىٰ، السادسُ: ابن (ابنها، ابن مريم).

الكلمات المِفتاحيةُ: التنوع– التَّعبير– عيسىٰ– القرآن الكريم– علم المناسبة– السياق.

One of the secrets of Diversity of expression of Jesus - peace be upon him - in the Holy Qur'an

Ahmed Ragab Hegazy Abdel Majeed

Department of Rhetoric, Literary Criticism and Comparative Literature, Faculty of Dar Al Uloom, Cairo University, Egypt.

Email: Ahmed86a2z2@gmail.com

Abstract:

It is the custom of the Holy Qur'an to diversify in presenting one thing to the recipient, and to call it by several names. For an occasion required by the context in each case, this is an apparent feature in the Qur'an that can hardly be missed by eye or ear. Among this diversity is what was mentioned in the folds of the hadith about the Prophet of God Issa - peace be upon him, that prophet who was surrounded by miracles in all stages of his life: in his formation as a fetus without a father, in his speaking to people while he was still in the cradle, and in his support of miracles that would not have been possible for humans had it not been for God. He gave him permission to do so, and in raising him to heaven in an event that had no precedent or succession, and in completion of this circle of miracles, the Qur'an varied in expressing him in a miraculous way as well, a way that no one else has in the entire Qur'an. This research attempts to find out the secrets behind the choice of each expression about Issa in the place in which it was mentioned, in an attempt to question the contexts about their particularities that called for a specific expression and not another, without bending the necks of the verses, or transgressing established linguistic conventions. This research includes six sections: The first: Christ, Issa, son of

Mariam, the second: Christ, son of Mariam, the third: Christ, the fourth: Issa, son of Mariam, the fifth: Issa, and the sixth: The son of (her son, son of Mariam.

keywords: Diversity- Expression- Issa- the Holy Qur'an- Science of occasion- Context.

المقدمةُ

الحمدُ لله أنزل القرآن وأحكمه، والصلاة والسلام علىٰ خير من فهَّم القرآن وعلَّمه، ورضوانُ الله علىٰ الصَّحابةِ أفضل جيلٍ كرَّم القرآن وعظَّمه.

وبعد...

فقد جرت عادة البيان القرآني –في كثيرٍ من المواطن– علىٰ تنويع صور الإشارة إلىٰ الشيء الواحد، ومن ذلك أن يسميه بأسماءٍ عِدةٍ؛ لمناسبةٍ يقتضيها السياق في كلٍّ، تلك سِمةٌ باديةٌ في القرآن لا تكاد تُخطئها عينٌ أو أذنٌ، مِن مِثل: (**رَجل/ ذَكر**)، و(**امرأة/ أنثى**)، و(**ولد/ ابن**)، (**أم/ والدة**)، (**إبليس/ شيطان**)، (**قرآن/ كتاب/ ذِكر**)، و(**الواقعة/ الحاقة/ الطّامة/ الصّاخة/ القارعة**...)، وغير ذلك الكثير.

ومن هذا التَّنويع ما ورد في ثنايا الحديث عن نبي الله عيسىٰ –عليه السلام، ذلكم النبي الذي يكتنفه الإعجاز في مراحل حياته كلها: في تكوينه جنينًا بلا أبٍ، وفي تكليمه الناسَ وهو لا يزال في المهد، وفي تأييده بمعجزاتٍ لا تكون لبشرٍ لولا أنَّ الله أذِن له بها، وفي رفعِه إلىٰ السماءِ في حادثةٍ لا سابقة لها ولا لاحقة، وإتمامًا لدائرة الإعجاز هذه ينوعُ القرآن في التَّعبير عنه بطريقةٍ معجزةٍ كذلك، تلك الطَّريقة التي ليست لأحدٍ غيره –بمثل هذا الحضور– في القرآن كله.

وقد تباينت التَّعبيرات عن عيسىٰ –عليه السلام– طولًا وقِصرًا؛ من التَّعبير بكلمةٍ واحدةٍ: (**عيسى، المسيح، ابنها**)، إلىٰ كلمتين: (**ابن مريم**)، ثم إلىٰ ثلاث كلماتٍ: (**المسيح ابن مريم، عيسى ابن مريم**)، فأربع: (**المسيح عيسى ابن مريم**)، وهذا مما يدعو إلىٰ التَّساؤل ويثير العجب، فما سرُّ هذا التَّنوُّع؟، ولماذا خُصَّ كل سياقٍ بما ورد فيه من تعبيرٍ؟.

يسعىٰ هذا البحث إلىٰ استكناه الأسرار الكامنة وراء اختيار كل تعبيرٍ في مكانه الذي ورد فيه، في محاولةٍ لمساءلةِ السِّياقات عن خصوصياتها التي استدعت تعبيرًا بعينه دون غيره، من غير لَيٍّ لأعناق الآياتِ، أو تجاوزٍ للأعراف اللُّغوية القارَّة. وعُنوان هذا البحث:

(مِن أسرارِ تنوُّعِ التَّعبيرِ عن عيسى -عليه السلام- في القرآنِ الكريم).

وسيسير البحث وفق مجموعةٍ من الإجراءات المنهجية؛ **منها**: استقراء النَّصِّ القرآني كله؛ بحثًا عن الإشارات المبثوثة فيه عن عيسىٰ -عليه السَّلام، **ومنها**: استنطاق السياقات للبَوح بما تحمل من خصوصياتٍ رشَّحتْ تعبيرًا لا يصلُح غيره في مكانه، ولا هو يصلُحُ في مكان غيره، **ومنها**: تحليل الآيات تحليلًا فنيًّا يعتمدُ علىٰ معطيات اللغة والتَّفاسير وعلوم القرآن، **ومنها**: عقد المقارنات بين الآيات المتشابهات، **ومنها**: الربط بين الآيات التي بينها علاقاتٌ تُسهم في إيضاح السر وراء هذا الاختيار أو ذاك، وإن بدت متباعدةً في مباحث الدِّراسة.

ويشتمل هذا البحث على ستة مباحثَ، يختصُّ كلٌّ منها بتأمل إحدىٰ الصور التي آثرها البيان القرآني في الإشارة إلىٰ عيسىٰ -عليه السلام، هذه المباحث هي:

المبحثُ الأولُ: المسيحُ عيسىٰ ابنُ مريمَ.

المبحثُ الثاني: المسيحُ ابنُ مريمَ.

المبحثُ الثالثُ: المسيحُ.

المبحثُ الرابعُ: عيسىٰ ابنُ مريمَ.

المبحثُ الخامسُ: عيسىٰ.

المبحثُ السادسُ: ابن (ابنها، ابن مريم).

والله أسأل أن يُعين، ويوفِّق، ويُسدِّد، إنَّه المتفضل بذلك، وهو نِعم المسؤول.

المبحثُ الأول: (المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ)

ورد هذا التّعبير في ثلاث آياتٍ، هي:

١. ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ **ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ** وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾. [آل عمران].

٢. ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا **ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ** رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾. [النساء].

٣. ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا **ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ** رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾. [النساء].

تشترك هذه الآياتُ في كونها مدنيةً، وفي اشتمالها -دون غيرها- علىٰ التعبير الأطول عن عيسىٰ في القرآن الكريم (المسيحُ عيسى ابن مريم)، وأود في البداية أن أوضح أمرَين:

أوّلًا: لم يَرِد وصف عيسىٰ -عليه السلام- بالمسيح إلَّا في المدني من القرآن، ولعلَّ ذلك لتركيز هذا القِسم من القرآن علىٰ أهل الكِتاب، وأنبيائهم، وعقائدهم، وكتبهم، في حين اهتمَّ القرآن المكي بأمور التَّوحيد والبعث والرسالة[1]؛ فعُبِّر عنه فيه باسمه (عيسى) كسائر الأنبياء المعبَّر عنهم بأسمائهم، وأما وصف (المسيح) فذو

(١) يُنظر: **الواضح في علوم القرآن**، مصطفىٰ ديب البغا، ومحيي الدِّين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ودار العلوم الإنسانية، دمشق، ط/ ٢، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م: ص/ ٦٦.

خصوصيةٍ عَقديةٍ لأهل الكِتاب؛ فتأخَّر لتأخُّر الحديث عنهم باستفاضةٍ في القِسم المدني من القرآن.

ثانيًا: تدور كلمة (المسيح) وصفًا لعيسىٰ حول عدة معانٍ[١]:

١- مَسْحُ ذوي العاهات؛ فيبرأون بإذن الله[٢].

٢- مَسْحُ الأرض، أي قطعُها من أجل الدَّعوة[٣].

٣- مَسْحُ اللهِ له بالبَركة (ممسوح)[٤].

---

(١) يُنظر: **مقاييس اللّغة**، ابن فارس، تحقيق/ عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الفكر، د/ ط، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م، **ومفردات ألفاظ القرآن**: الرَّاغب الأصفهانيُّ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط/ ٤، ٢٠٠٩م، **ولسان العرب**، ابن منظور، دار المعارف، مصر، دون بيانات نشر، **والقاموس المحيط**، الفيروزآبادي، راجعه: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨م، **وتاج العروس من جواهر القاموس**، الزّبيدي، تحقيق: عبد السَّتار أحمد فرَّاج، مطبعة حكومة الكويت، د/ ط، ١٩٦٥م: مادَّة (م.س.ح).

(٢) يُنظر: **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور**، برهان الدِّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعيّ، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، د/ ط، د/ ت: ٥/ ٢١٩، **وتفسير القرآن الجليل المسمّى (مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل)**: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسفي، سلسلة الذَّخائر، العدد/ ١٩٨، الهيئة العامة لقصور الثَّقافة، القاهرة، ٢٠١٠م: ١/ ٢١٦.

(٣) يُنظر: **تفسير القرآن الجليل المسمّى (مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل)**: ١/ ٢١٦.

(٤) يُنظر: **الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**، جار الله الزَّمخشريُّ، تحقيق: الشَّيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشَّيخ/ عليّ محمَّد معوَّض، وأ.د/ فتحي عبد الرَّحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط/ ١، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م: ص/ ١٧٢، **وتفسير القرآن الجليل المسمّى (مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل)**: ١/ ٣٧٨.

٤- مَسْحُ الذنوبِ عنه[١].

٥- مَسْحةٌ من جَمالٍ تعلوه.

٦- المسيحُ: الصِّديقُ[٢].

وفي ضوء هذين الأمرَين يبرُز سؤالٌ:

لماذا اختُصّت هذه الآيات الثَّلاث بهذا التّعبير عن عيسى -عليه السلام؟.

إنَّ المتأمل لسياقات هذه الآيات الثَّلاث يلحظ خصوصيةً وتفردًا لا مثيل لهما في الحديث عن عيسىٰ -عليه السلام- في سائر القرآن الكريم، ونحسب أن هذه الخصوصية وذلك التَّفرُّد هما اللَّذان استدعيا هذا التَّعبير الطَّويل (**المسيحُ عيسى ابن مريم**)، وفيما يأتي وقفةٌ مع كلٍّ من الآيات الثَّلاث؛ لمحاولة استجلاء أسرار هذا الاختيار:

❖سياق الآية الأولى (آل عمران/٤٥):

يمكن القول: إنَّ هذا السِّياق قد جمع من أمور عيسىٰ ما لم يجمعه سياقٌ آخرُ؛ سواء علىٰ مستوىٰ التَّفرد بالذِّكر في القرآن كله، أم علىٰ مستوىٰ السبق والأولية إلىٰ الذِّكر وفق ترتيب المصحف؛ فعلىٰ المستوىٰ الأول انفرد هذا السياق -دون غيره- بذِكر ما يأتي:

---

(١) يُنظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطَّبريّ)**، أبو جعفر محمَّد بن جرير الطَّبريّ، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، دار هجر، الجيزة، مصر، ط/ ١، ٢٠٠١م: ٥/ ٤٠٩، **والمحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطيَّة الأندلسيّ، تحقيق/ عبد السَّلام عبد الشَّافي محمّد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لُبنان، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١م: ١/ ٤٣٦.

(٢) يُنظر: **الكشّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**: ص/ ١٧٢.

* **قصة ميلاد أمّ عيسى (مريم)**: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾. [آل عمران].

* **اصطفاء أمّ عيسى (مريم)**: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾. [آل عمران].

* **وصف عيسى بكونه (وجيهًا)**: ﴿**وَجِيهًا** فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾. [آل عمران:٤٥].

* **وصف عيسى بكونه (من المقرّبين)**: ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾. [آل عمران:٤٥].

* **وصف عيسى بكونه (سينبئ قومه بما يأكلون وما يدّخرون)**: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾. [آل عمران:٤٩].

وعلى المستوى الثاني سَبَقَ هذا السياقُ -مصحفيًّا- سائرَ سُوَر القرآن إلى عرض الأمور الآتية:

* **بشارة مريم بعيسى**: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ **يُبَشِّرُكِ** بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾. [آل عمران]، **ولم يرد لفظ البشارة مع عيسى في غير هذا الموضع.**

* **كون عيسى (كلمة)**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ **بِكَلِمَةٍ** مِّنْهُ﴾. [آل عمران:٤٥].

* **كون عيسى سيتكلم في المهد:** ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾. [آل عمران:٤٦].

* **كون عيسى سيُعلّم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل:** ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾. [آل عمران].

* **كون عيسى رسولًا:** ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. [آل عمران:٤٩].

* **ذكر معجزات عيسى:** ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾. [آل عمران:٤٩].

* **كون عيسى مصدّقًا للتوراة:** ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾. [آل عمران:٥٠].

إنَّ هذا الحشد الواسع لأحوال عيسىٰ في سياقٍ واحدٍ رشَّحَ التَّعبير عن عيسىٰ بـ(**المسيح عيسى ابن مريم**)؛ فلفظة (**المسيح**) تناسب -بدلالتها علىٰ مسح المَرضىٰ فيُشفَوْن بأمر الله- ما ورد من ذِكر معجزاته في هذا الصَّدد (**وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ**)، وتناسب -بدلالتها علىٰ كون عيسىٰ مُسح بالبركة- ما ورد من كلامه رضيعًا: (**وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ**)، وتناسب -بدلالتها علىٰ كون عيسىٰ صِدِّيقًا- ما ورد من تصديقه للتوراة: (**وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ**).

وأما لفظة (**عيسى**) فتمثل العَلم علىٰ هذا النبي الرسول، إنها مساويةٌ للأعلام الدَّالَّة علىٰ الأنبياء: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وغيرهم، وتُحيل هذه الأعلام تلقائيًّا إلىٰ نُبُوَّات هؤلاء الأنبياء ورسالاتهم، ومن هذا المنطلق تتناسب لفظة (**عيسى**) مع ما ورد في هذا السياق من إشاراتٍ إلىٰ رسالته -عليه السلام-: (**وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ**

وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ)، (وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)، (وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ)، (وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ).

وأما التركيب (**ابن مريم**) فيؤكِد علىٰ بشريةِ عيسىٰ وأمِّه، فهو -وإن كان يَخلق طيرًا، ويُبرِئ مريضًا عُجِز عن إبرائه، ويُحيي الموتىٰ، ويُنبِّئ بأمورٍ غيبيةٍ- ليس إلَّا ابن مريم (**البشرية**)، وليس بابنٍ لله، أو الإله نفسه، وهي -وإن أنجبت بلا زوجٍ- فليست بإلهٍ أو زوجة إلهٍ، كما سيدَّعي أهل الكِتاب فيما بعدُ، بل هي مريم الَّتي وُلدت بينهم من بيتٍ يعرفونه، وتربَّت علىٰ أعينهم، وحملت وأنجبت علىٰ وعيٍ منهم، وفي هذا السياق تأكيدٌ علىٰ بشرية عيسىٰ وأمِّه يظهر في الآتي:

- كون مريم من جملة النساء، وهنَّ بشرٌ: ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾. [آل عمران].

- تصريح الملائكة بأنَّ لمريم ربًّا: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾. [آل عمران:٤٣].

- الكلام علىٰ كفالة مريم: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾. [آل عمران:٤٤].

- تصريح مريم نفسها بأنَّ لها ربًّا: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾. [آل عمران:٤٧].

- التأكيد علىٰ كونه -عليه السلام- مخلوقًا: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾. [آل عمران:٤٧].

- إقرار عيسىٰ -مِرارًا- بأنَّ هناك ربًّا للجميع هو الَّذي أرسله: ﴿ قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾. [آل عمران:٤٩]، ﴿ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾. [آل عمران:٥٠]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾. [آل عمران:٥١].

- التأكيد المتكرر من قِبل عيسىٰ علىٰ أنَّ ما يفعله من معجزاتٍ خارقاتٍ لم يكن لولا إذن الله: (فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ)، (وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ).

إنَّ هذا التعبير (**المسيح عيسى ابن مريم**) بأركانه الثلاثة لَيَشُدُّ إليه أَعِنة هذا السياق؛ فالمسيح (**المعجزات الخارقة**)، وعيسىٰ (**النبي الرسول**)، وابن مريم (**البَشري ابن البَشَرية**)، وتلك هي الخيوط التي اختص هذا السياق بجمعها في جديلةٍ واحدةٍ.

❖ **سياق الآية الثَّانية (النساء/١٥٧):**

يكمُن تفرد هذا السياق في كونه جمع من شناعات أهل الكِتاب -قوم عيسى- ما لم يُجمع في سياقٍ آخر.

وصحيحٌ أنَّ آياتٍ أخرىٰ أوردت طرَفًا من جرائمهم، لكنها لم تَرْقَ في الإحاطة والحشد إلىٰ هذا السياق الذي نحن بصدده: كَمًّا وكيفًا.

فمن حيث الكَمُّ اشتمل هذا السياق علىٰ سبعٍ من سيئات أفعال أهل الكِتاب، وهو عددٌ لم يجتمع في موضعٍ غيره، والجدول الآتي يقارن بين سياق الآية موضع البحث (النساء/١٥٧) وما شاركه من سياقاتٍ تعرضت لذِكر قبائح أهل الكِتاب في سائر القرآن الكريم:

م	آيات السِياق	شناعات أهل الكِتاب
١	﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾. [النساء].	١. نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ. ٢. وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ. ٣. وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ. ٤. وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ. ٥. وَبِكُفْرِهِمْ. ٦. وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا. ٧. وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ.
٢	﴿...ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾. [البقرة].	١. يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ. ٢. وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ. ٣. عَصَوا۟. ٤. يَعْتَدُونَ.

م	آيات السياق	شناعات أهل الكتاب
٣	﴿...أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾. [البقرة].	١. فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ. ٢. وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ. ٣. بِكُفْرِهِمْ.
٤	﴿...قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾. [البقرة].	١. تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ.
٥	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾. [آل عمران].	١. يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ. ٢. وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ. ٣. وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ.
٦	﴿...ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾. [آل عمران].	١. يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ. ٢. وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ. ٣. عَصَوا۟. ٤. يَعْتَدُونَ.
٧	﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾. [آل عمران].	١. قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ. ٢. وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ.
٨	﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ	١. نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ. ٢. يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن

م	آيات السياق	شناعات أهل الكتاب
	ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾. [المائدة].	مَّوَاضِعِهِۦ. ٣. وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ. ٤. وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ.
٩	﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾. [المائدة].	١. فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ. ٢. فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟.

ومن حيثُ الكيفُ نلحظُ اتِّكاء سياق (النساء/١٥٧) علىٰ صيغة الاسم في كلِّ ما أورده من جرائم أهل الكِتاب: (نقضهم، كفرهم، قتلهم، قولهم، كفرهم، قولهم، قولهم)، في حين اعتمدت سياقاتٌ أُخَر علىٰ الفعل وحده: (البقرة/٦١، البقرة/٩١، آل عمران/٢١، آل عمران/١١٢، المائدة/٧٠)، وزاوجت سياقاتٌ أخيرةٌ بين الاسم والفعل، وإن كان الفعل غالبًا: (البقرة/٨٧، آل عمران/١٨١، المائدة/١٣)، ومعلومٌ أنَّ الاسم يدلُّ علىٰ الثّبات، والفعل يدل علىٰ الحدوث، وهذا يعني أن سياق (النساء/١٥٧) أقوىٰ في التَّعبير عن لصوق هذه الجرائم بهم وثبوتها لهم. والله أعلم.

أضف إلىٰ ذلك اختصاص هذا السياق بالاعتراف الوحيد -في القرآن كله- لأهل الكِتاب بأنهم قتلوا عيسىٰ -عليه السلام-: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، وهو قتلٌ -في زعمهم الباطل- قام به الجميع (إنّا)، أو علىٰ الأقل أيّده الجميع، ثمَّ هو لشخصٍ معلوم لهم علو شأنه ورفعة قدره.

إنَّ تفرد هذا السياق بإيراد كل هذه الشَّناعات التي اقترفها أهل الكِتاب هو الذي استدعىٰ التَّعبير عن عيسىٰ بـ(**المسيح عيسى ابن مريم**)؛ إبرازًا لشدة كفرهم وجحودهم، فلم يقتلوه ويصلبوه -بزعمهم- إلا وهم مدركون تمام الإدراك لكُنْهِ هذا المقتول المصلوب: إنهم يُقبِلون علىٰ قتله وهم يشاهدون مسحه الشَّافي شهود عِيان، ويعتقدون أنه صِدِّيقٌ مباركٌ، وتلك من معاني كلمة (**المسيح**)، إنهم يُعِدُّون مسرح الصَّلْبِ وهم يعلمون عِلم اليقين أنَّه رسول، وليس أي رسول، بل رسول وُلد بلا أبٍ (**ابن مريم**)، وتلك أمُّ المعجزات، وانظر إلىٰ قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ **رَسُولَ ٱللَّهِ**﴾ الدَّال دلالةً قطعيةً علىٰ الإقدام مع المعرفة التَّامَّة بقيمة المقتول (**رسول الله**)، لكنه الطَّبع الذي لم يفارقهم لحظة: طبع (**قَتْل الأَنْبِيَاء**).

إنَّ مجيء هذا التَّعبير (**المسيح عيسى ابن مريم**) في ذيل الجرائم التي مارسها أهل الكِتاب، وتأكيدهم رسالته بقولهم: (**رسول الله**)؛ لَيُفْصِحُ غاية الإفصاح عن المدىٰ الذي وصل إليه عِصيان أهل الكِتاب وعُداونهم، إنه يترجم عن لسان حالهم الباغي، فكأنهم قالوا: إن فلانًا الذي خلعتم عليه صفات كَيت وكَيت وكَيت (**المسيح عيسى ابن مريم**) نقتله ونصلبه، وإن كان يُجري ما يُجري من معجزاتٍ، وإن كان (**رسول الله**)، فتلك عادتنا، نفعلها ونقر بها، وهذا منهم أقصىٰ ما يبلغه البشر من تجبُّرٍ واعتداء. والله أعلم.

❖ **سياق الآية الثّالثة (النساء/١٧١):**

يقوم هذا السياق -بصورةٍ فريدةٍ- على موضوع إثبات ألوهية الله ووحدانيته، وفي الوقت ذاته إثبات بشرية عيسىٰ -عليه السلام-، ولم يَجمع سياقٌ آخرُ ما جمعه هذا السياق، بل لم تَجمع آيةٌ ما جمعته آية (النساء/ ١٧١) بشأن هذ الموضوع، ففيها:

- ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾. [النساء:١٧١]، **وهو النَّهي الوحيد المباشر عن الغُلو، أي الموجه إليهم دون وساطةٍ، كقوله:** ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ [المائدة:٧٧]، **الموجه علىٰ لسان الرسول محمد -صلىٰ الله عليه وسلم- (قُلْ).**

- ﴿ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء:١٧١]، ولم يتكرر في القرآن.

- ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾[النساء:١٧١]، **ولم يرد القصر بـ(إنما) مع عيسىٰ في غيره.**

- ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء:١٧١].

- ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ﴾ [النساء:١٧١]، **وهذه أول إشارة إلىٰ فكرة (التّثليث) مصحفيًّا ونزوليًّا(١).**

---

(١) يُنظر في ترتيب النزول: **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدِّين الزّركشيّ، تحقيق/ محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار التُّراث، القاهرة، ط/ ٣، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م: ١/ ٢٢١، ٢٢٢، **والإتقان في علوم القرآن**، جلال الدِّين السُّيوطيّ، تحقيق/ محمَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدَّعوة والإرشاد، المملكة العربيَّة السّعوديَّة، د/ ط، د/ ت: ١/ ١١٥: ١١٩.

- ﴿ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ [النساء:١٧١]، ولم يرد في غير هذه الآية.

- ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾. [النساء:١٧١]، وهو تركيبٌ فريدٌ في القرآن كله.

- ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾. [النساء:١٧١]، ولم يرد هذا التَّركيب في غير هذا الموضع.

أضف إلىٰ ذلك أنها الآية الوحيدة الَّتي جمعت في حديثها عن عيسىٰ بين ثلاثة أوصافٍ تناثرت في أرجاء القرآن (**رسول، كلمة، روح**): ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾. [النساء:١٧١].

إنَّ هذا التفرد في الحشد -سواء علىٰ مستوىٰ إثباتات الألوهية والوحدانية لله، أم علىٰ مستوىٰ الفرائد التي حوتها الآية- استدعىٰ التعبير عن عيسىٰ بـ(**المسيح عيسى ابن مريم**)؛ فكأنَّ المعنىٰ -والله أعلم: أنَّ **عيسى** -وإن كان يَخلق ويَشفي ويُحيي (**المسيح**)- ليس سوىٰ رسول، فلا يحق لكم أن تغلو فيه وتجعلوه إلهًا، وأنَّه وإن وُلد بلا أبٍ (**ابن مريم**)- ليس سوىٰ بشر، وما هو بابنٍ لله.

وقد يكون المعنىٰ -والله أعلم: أنَّ **عيسى** الممسوح بالبركة (**مفعول به**)، المولود لامرأةٍ (**ابن مريم**) احتاج إليها لتحمله ولتُرضعه، لا يمكن أن يكون إلهًا؛ إذ هو مفتقرٌ إلىٰ الله ليخلع عليه البركة بالمسح، ومحتاجٌ إلىٰ البشر في تلبية حاجاته، وليست هذه بصفاتٍ لإلهٍ.

لقد مثَّل هذا التَّعبير (**المسيح عيسى ابن مريم**) في هذا السياق المتَّكَأَ الَّذي استند إليه المغالون في غُلُوهم في عيسىٰ (**الخلق والإبراء والإحياء الماثل في كلمة "المسيح"/ الولادة بلا أبٍ الماثلة في التعبير "ابن مريم"**)، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرىٰ مثَّلَ الحُججَ الدَّاحضةَ لمتكئِهم الواهي (**المسيح أي الممسوح الواقع عليه المسح/ المخلوق من بشريةٍ، فهو وهي من الجنس ذاته**). والله أعلم.

إن اعتماد هذه الآية على التَّكرار: **تكرار النهي (لَاتَغْلُواْ ، وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ ، وَلَاتَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ)، والأمر (فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ، ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ)، والقصر (إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ....، إِنَّمَا ٱللَّهُ...)**، لَيوحي بعِظم ما جاءت له هذه الآية، من دفعٍ لغلو المغالين في عيسى -عليه السلام-، وإنه لأمر جِد عظيم، وفي خِضمِّ التَّكرارات المؤكِّدة جاء التعبير (**المسيح عيسى ابن مريم**)؛ ليساير هذا التَّأكيد الذي تَغيَّاه سياق الآية؛ إذ كلما كَثُرت أوصاف الشخص المتحدَّث عنه كان ذلك أدعى للتأكيد عليه، وتمييزه ممن عَداه، وإفساح المجال له، فعلى قدر ما احتشدت الآية له وبه جاء التعبير عن عيسى محتشدًا بكل أوصافه. والله أعلم.

المبحثُ الثَّاني: (المسيحُ ابنُ مريمَ)

ورد هذا التّعبير خمس مرات في أربع آيات، هي:

١. ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ **ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ** قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾. [المائدة].

٢. ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ **ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ** ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾. [المائدة].

٣. ﴿ مَّا **ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ** إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾. [المائدة].

٤. ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ **وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ** وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾. [التَّوبة].

تشترك هذه الآيات في أنها أسقطت كلمة (عيسى)، واكتفت بالتعبير (المسيح ابن مريم)، ولعلَّ ذلك؛ لكون سياقات هذه الآيات ليست بحاجةٍ إلىٰ الاسم العَلَم (عيسى) المعبِّر عن الرسول صاحب الرسالة، وإنما هي بحاجةٍ فقط إلىٰ (المسيح)، و(ابن مريم)؛ ذلك أنَّ لهذه الآيات خصوصيةً تكمُن في كونها تتحدَّث عن اتخاذ أهل الكِتاب المسيحَ ابن مريم (إلهًا/ ربًّا) من دون الله، وتتمثَّل هذه الخصوصية فيما يأتي:

أولًا: التَّ صريح بقول أهل الكِتاب: (إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ).

ثانيًا: التصريح بكفر من ألَّه عيسىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نقول:

إنَّ التَّعبير (**المسيح ابن مريم**) يتكون من شقين يمثلان المتكَأ الذي استند إليه أهل الكِتاب في اعتقادهم أن عيسىٰ (**إله**) أو (**رب**)، وفي الوقت ذاته يمثلان الرَّدَّ الحجاجيَّ القاطع في نفي الإلهية أو الربوبية عنه.

فلما كان عيسىٰ يفعل أفعالًا إلهيةً بإذن الله، كالخلق، والإحياء، والشفاء، والإنباء بالغيب، ولمَّا كان قد وُلد من امرأةٍ دون أبٍ؛ زكَّىٰ هذا وذاك اعتقادَ أهل الكِتاب في ألوهية عيسىٰ وربوبيته، فلفظُ (**المسيح**) المعبِّر عن المسح الخارق، والتعبيرُ (**ابن مريم**) المشير إلىٰ ولادةٍ غريبةٍ تضافرا لإظهار مَردِّ اعتقاد أهل الكِتاب في عيسىٰ.

ومما يعضد من كون التَّركيب (**المسيح ابن مريم**) يمثل الحُجَّة التي اعتمد عليها أهل الكِتاب أنه ورد في الآية نفسها احتجاجًا علىٰ فساد اعتقادهم: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، فكأن المعنىٰ -والله أعلم- أنَّ المسيح ابن مريم الذي اعتقدتم فيه ما اعتقدتم لأفعاله ولطريقة ولادته لا يخرج -بأوصافه تلك- من تحت إرادتي، وإني إن أردت إهلاكه أهلكته بصفتَيه (**المسيح ابن مريم**) اللتين هما معتمدكما في زعمكم الباطل.

وعلىٰ الجِهة المقابلة يقوم التعبير (**المسيح ابن مريم**) بدور الحُجَّةِ المفحِمة لأهل الكِتاب في دحض زعمهم؛ ذلك أنه تعبيرٌ يحمل في طياته وصفًا لعيسىٰ

"بصفتين لا يكونان إلّا لمصنوعٍ مربوبٍ"[١]: فهو مسيحٌ، أي ممسوحٌ بالبَركة، ومطهّرٌ من الذنوب[٢]، أي أنه ليس فاعلًا (إلهًا)، بل هو مفعولٌ به (مخلوقٌ)، وهو (ابن مريم) البشرية، ومن ثَم "فهو محتاجٌ إلى كفالتها"[٣]، والذي يحتاج إلىٰ كفالة غيره "لا يصلُح للإلهية بوجهٍ"[٤]، وفي ذلك -أيضًا- تشنيعٌ عليهم، وتسفيهٌ لأحلامهم؛ إذ ارتضَوا إلهًا مَن وُلد بينهم، وترعرع فيهم، يأكلُ طعامهم، ويشرب شرابهم.

وأما كلمة (عيسى) فلا تمثل -في هذه الآيات- مستندًا لزعمهم، ولا تقوم بدورٍ في تفنيد اعتقادهم؛ فهي لا تحمل في طياتها سوىٰ العَلَمية الدالَّةِ علىٰ شخص الرَّسول، علىٰ خلاف كلمتَي (المسيح)، و(ابن مريم) الدَّالتين علىٰ صفاتٍ في الشَّخص، ومن ثمَّ ليس في كلمة (عيسى) دلالةٌ علىٰ إعجازٍ وخرقٍ للعادة تدعم الاعتقاد بالألوهية، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرىٰ ليس فيها إيحاءٌ بوصفٍ يَنفي ما ادَّعوه من هذه الإلوهية؛ لذا كان غيابها عن هذه السياقات مناسبًا تمام المناسبة للهدف المنشود. والله أعلم.

إنَّ أهل الكِتاب -في هذه السياقات- لا يُقرون بعيسىٰ الرسول، بل يعتقدون في عيسىٰ الإله، ومن ثَمَّ سقطت كلمة (عيسى) المعبرة عن (الرسول ورسالته) من السياقات؛ لكونها سقطت من فِكر أهل الكِتاب ونظرهم.

---

(١) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور: ٦/ ٢٥٤.

(٢) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥/ ٤٠٩، والمحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٤٣٦، وتفسير القرآن الجليل المسمّى (مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل): ١/ ٣٧٨.

(٣) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور: ٦/ ٦٤.

(٤) السابق: ٨/ ٤٤٢.

٥. ويبقىٰ سؤالٌ: إذا كانت هذه الآيات (المائدة/١٧، ٧٢، التّوبة/٣١) تتحدث عن ادعاء أهل الكِتاب ألوهيةَ عيسىٰ، ومن ثَمَّ سقط منها لفظ (عيسى)؛ لعدم الحاجة إليه كما بيَّنَّا آنفًا، فلماذا سقط من آية (المائدة/٧٥): ﴿ مَّا (ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ) إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ المائدة، وليس فيها ادعاء لألوهية عيسىٰ -عليه السلام-؟.

إن هذه الآية الكريمة جاءت عقِب قوله تعالىٰ: (لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ) [المائدة:٧٢]، وقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، فاختارت التعبير (المسيح ابن مريم) وأسقطت كلمة (عيسى)؛ بناءً للحُجةِ المبطلة لزعمهم علىٰ قاعدةٍ من جنس كلامهم هم، فكأن الآية تقول: إنَّ خصوصية عيسىٰ التي اتخذتموها سُلَّمًا لتأليهه نحنُ نُقرُّ بها، ولكنها لدينا دليل عبوديته، فهو -وإن كان مسيحًا يفعلُ بإذن الله أفعالًا خارقةً- ليس إلا رسول، وللإمعان في إثبات كونه كذلك قالت الآية: ﴿رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾، فهو مُعْرِقٌ في رسوليته كسائر رسل الله مجتمعين، وهو وإن كان (ابن مريم) الوالدة بلا زوجٍ، ليس إلَّا بشريًّا مُعْرِقًا هو وأمه في البشرية ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾، وليس يأكلُ الإلهُ!، ولا يفوتنا ما يُفيده بناء الآية علىٰ أسلوب القصر بالنفي والاستثناء﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾؛ من قطعٍ للطريق أمام مزاعمهم الواهية، وقصرٍ لوظيفة عيسىٰ علىٰ الرسالة فحسب.

المبحثُ الثَّالثُ: (المسيحُ)

ورد هذا التّعبير في ثلاث آياتٍ، هي:

١. ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ **ٱلْمَسِيحُ** أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾. [النساء].

٢. ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ **ٱلْمَسِيحُ** يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾. [المائدة].

٣. ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى **ٱلْمَسِيحُ** ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾. [التوبة].

اقتصرت هذه الآيات الثَّلاثُ علىٰ التعبير (المسيح)، واستغنت عن (عيسى، وابن مريم)، وفيما يأتي وقفةٌ أمام كلِّ آيةٍ من هذه الآيات الثَّلاث؛ لمحاولة البحث عن سر إيثارها هذا التَّعبير دون ما عداه.

❖ **أولًا: آية (النساء/١٧٢):**

جاءت هذه الآية عقِب قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا **ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ** رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾. [النساء:١٧١]، **وقد آثرت الآية التعبير بـ(المسيح عيسى ابن مريم)، ثمَّ جاء بعدها قوله تعالىٰ:** ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ **ٱلْمَسِيحُ** أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ

إِلَيۡهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾. [النساء:١٧٢]، مكتفيًا بإطلاق (المسيح) علىٰ النبي عيسىٰ – عليه السَّلام، فلماذا آثرت الآية الكريمة هذا اللَّفظ دون بقية التَّعبير الوارد في الآية السابقة مباشرةً؟.

ولعل الجواب يكمُن في كون هذه الآية الكريمة ضمَّت بين دفتيها كلماتٍ رشَّحت اختيار كلمة (المسيح) دون مصاحباتها، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أ. لم يَرد الفعل (يستنكف) إلا في هذا السياق، وهو فعل يدلُّ علىٰ الأَنَفَة من الشَّيء والامتناع الشَّديد من إتيانه[1]، وكلمة (المسيح) تحمل في طياتها ما يمكن أن يكون سببًا للأنفة من العبودية من ممارسة أعمالٍ خارقةٍ قد يَغترُّ آتيها، لكنه مع هذا (لن) –مع ملاحظة دلالة النّفي القاطعة بانعدام الاستنكاف أبدًا– يأنف من الانضواء تحت راية العبودية الصِّرفة.

ولو قالت الآية: (لن يستنكف عيسى أو ابن مريم أن يكون عبدًا الله)؛ لَما ظهرت تلك المفارقة المقصودة بين الأفعال الإلهية المأذون بها والعبودية الخالصة؛ إذ ليس يظهر في (عيسى، أو ابن مريم) سببٌ للاستنكافِ.

ب. لم يَرد التَّركيب: (عبدًا لله) إلَّا في هذه الآية، ومجيئه مُنكَّرًا، لا معرَّفًا بالإضافة (عبدُ الله) كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم:٣٠] يرشِّح مجيء كلمة (المسيح) دون غيرها؛ ذلك أنَّ المعنىٰ علىٰ التَّنكير هنا يفيد التَّقليل والتَّصغير، أي "عبدًا من جملة العبيد"[2]، وبالتَّالي فإن كلمة (المسيح) بما تحمل من إشارةٍ إلىٰ عظَمة فعل عيسىٰ في مقابل

(١) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن، ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس: مادة (ن.ك.ف).

(٢) التّحرير والتّنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونُسية للنشر، تونُس، د/ ط، ١٩٨٤م: ٦/ ٥٩.

التَّقليل الذي في كلمة (عبدًا) تُسهم في إبراز مدىٰ عبودية عيسىٰ لله، فكأن المعنىٰ: إنَّ المسيح رغم ما يمارسه من أفعالٍ فاقت طاقة البشر حتَّىٰ رفعتموه بها إلىٰ درجة الإلهية لا يأنف من أن يكون مجرد عبدٍ لله، لا يمتاز من سائر عبيده.

ج. لم يرد قوله تعالىٰ: (ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ) إلَّا في هذه الآية، وهو قولٌ يتَّكئ علىٰ الوصف (المقربون)؛ ومن ثَمَّ كان مناسبًا أن يشار إلىٰ عيسىٰ بالوصف أيضًا (المسيح) وليس بالاسم (عيسى).

كما أن كلمة (الْمُقَرَّبُونَ) توحي بخصوصيةٍ لنوعٍ من الملائكة قرَّبهم الله تعالىٰ "كجبريل وميكائيل وإسرافيل، ومَن في طبقتهم"(١)؛ ومن ثَمَّ فإنَّ أبين ما خُصَّ به عيسىٰ كونه (المسيح)، فذُكر لهذه المناسبة. والله أعلم.

ولعل كلمة (المسيح) التي تكون "بمعنى: الممسوح، فعيل بمعنى: مفعول"(٢) تناسب كلمة (المقربون) وهي كذلك علىٰ صيغة (المفعول)، فالمسيح والملائكة – علىٰ ما فيهما من أمارات العظمة والتفرد بما هو خارجٌ عن قُوىٰ البشر– مفعولان بهما، مفتقران لغيرهما، فالله هو مَن مسح عيسىٰ، وهو مَن قرَّب الملائكة؛ فاستحقَّ بذلك عبوديتهم الكاملة.

* إنَّ الآية ليست بحاجةٍ إلىٰ كلمة (عيسى) الدالة فقط علىٰ شخص النبي، دون إشارةٍ إلىٰ خصوصيةٍ ما، كما أن التعبير (ابن مريم) وإن كان يحمل خصوصيةً، فهو لا يرقىٰ –في خصوصيته هذه– إلىٰ الخصوصية الماثلة في كلمة (المسيح)؛ لأنَّ مريم وإن وَلدت بلا زوجٍ لا ينفي كونها بشريةً وكون ما تولَّد منها بشريًّا كذلك، وأما خصوصية كلمة (المسيح) فلا تضاهيها خصوصية؛ إذ نتج عن مسحه أفعالٌ لا

(١) الكشّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: ص/ ٢٧٥.

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، المشهور بتفسير الفخر الرازي، محمد الرازي فخر الدِّين، دار الفكر، لبنان، ط/ ١، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١م: ٨/ ٥٤.

تكون لبشرٍ إلا بإذن الله، فاتكأ عليها السياق؛ إمعانًا في إثبات العبودية علىٰ أتم ما تكون.

* ولم يكن من المناسب أن تجمع الآية بين التَّعبيرات الثلاثة (المسيح، عيسى، ابن مريم) كما فعلت سابقتها؛ لأن الآية السابقة قِوامها بسط الكلام في عيسىٰ وكُنهه؛ فذكرته بأوصافه كلها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، وأما هذه الآية فمبناها علىٰ إثبات عبودية عيسىٰ من أخصر طريقٍ، فاختارت أبين الأوصاف التي قد يُظن منافاتها للعبودية (المسيح)؛ لتُثبت بها غاية العبودية في لمحةٍ موجزةٍ. والله أعلم.

❖ **ثانيًا: آية (المائدة/٧٢):**

إذا كان الموضع السَّابق قد نوَّع بين تعبيرين في آيتين متتاليتين -المسيح عيسى ابن مريم/ النساء: ١٧١، المسيح/ النساء: ١٧٢- فإنَّ هذا الموضع نوَّع بين تعبيرَيْن في آيةٍ واحدةٍ، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾. [المائدة: ٧٢]، فاختار في مطلع الآية (الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)، واختار بعدَ كلمةٍ واحدةٍ من هذا التَّعبير كلمة (الْمَسِيحُ) وحدها!.

لقد توقَّفنا مع التَّعبير الأول (الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) في المبحث الثَّاني، وانتهىٰ الكلام إلىٰ أنَّ هذا التَّعبير له شقان، مثَّلَا معًا المتَّكأ الذي استند إليه بنو إسرائيل في ادعائهم ألوهية عيسىٰ؛ فكونه (الْمَسِيحَ) يفعل الخوارق، وكونه (ابْنَ مَرْيَمَ) أي

وُلد بلا أبٍ؛ عزَّز لدىٰ وهمهم الضَّال هذا الادعاء الواهي، ومثّلَا -في الوقت ذاته- أبلغ ردٍّ علىٰ هذا الادِّعاء؛ فالمسيح أي الممسوح يحتاج إلىٰ من يمسحه، والمولود من امرأةٍ يحتاج إلىٰ كفالتها ورعايتها، ومن يحتاجُ إلىٰ غيره لا يستأهل أن يكون إلهًا.

وعقِب هذا التَّعبير مباشرةً جاء التَّعبير (**الْمَسِيحُ**) وحده: ﴿وَقَالَ (**ٱلْمَسِيحُ**) يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾، فما سرُّ ذلك؟.

إنَّ التَّعبير (**الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**) وإن كان مكوَّنًا من شِقَّين يتعاضدان معًا كما أسلفنا، فإنَّ أحد هذين الشِّقَّين أقوىٰ من الآخر، أو هو الذي أكَّد شِقَّه الثَّاني وذَكَّر به وأعاده إلىٰ الأذهانِ غضًّا طريًّا، هذا الشِّقُّ الأقوىٰ هو (**الْمَسِيحُ**)؛ ذلك أنَّ الشِّق (**ابْنُ مَرْيَمَ**) وحده لا يُؤهِّل إلىٰ ادِّعاء الألوهية، بل ربما يكونُ مدعاةً إلىٰ الاتِّهام باقتراف الفاحشة، وهذا أبعد شيءٍ عن الألوهية، وقد ألمح القرآن إلىٰ هذا علىٰ لسان مريم: ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾. [مريم:٢٠]، وعلىٰ لسان قومها: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾. [مريم:٢٨،٢٧]، لكن الشِّقَّ (**الْمَسِيحُ**) الذي كان بمثابة أفعال الإله -وإن كانت بإذن الله- هو الذي عضَّد الشق (**ابْنُ مَرْيَمَ**) وقوَّاه، وهو -وحده- أدعىٰ إلىٰ الانخداع وتوهم الألوهية؛ لِما فيه من إحياءٍ، وإبراءٍ، وإنباءٍ بغيبٍ؛ لذا هو الشق الأقوىٰ؛ فلما جاء المسيحُ بالخوارق جمع النَّاس خوارقه إلىٰ كيفية ولادته القديمة، ومنهما معًا تبلور الادِّعاء.

هذا الشِّق الأقوىٰ (**الْمَسِيحُ**) هو الأنسب لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾. [المائدة:٧٢]؛ ذلك أن الآية انتقلت من عرض الادِّعاء المؤكَّد لألوهية عيسىٰ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ عن طريق (**صيغة الماضي: قالوا**)، و(**إنّ**)، و(**هو**)، إلىٰ الإثبات المؤكَّد لعبوديته: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ عن طريق التَّكرار للاسم الظاهر (**اللّهَ، رَبِّي، رَبَّكُمْ، بِاللّهِ، اللّهُ**)؛ ومن ثَمَّ فإنَّ آكدَ ما يعضدُ هذه التَّكرارات أنْ تأتي علىٰ لسانِ (**المسيح**): الشِّقّ الأقوىٰ؛ ليكون ذلك أدعىٰ لإنكار ادعائهم، وأظهر في إثبات عبوديته؛ فها هو (**المسيحُ**) الذي خُدِعتم بخوارقه فادَّعيتم ألوهيته، هو نفسه ينسف ادعاءكم نسفًا، بأمركم جميعًا (**اعبدوا**)، بعبادة (**الله**) المستحق الأوحد للألوهية، الذي خلقه ورعاه وربَّاه (**ربِّي**) -ويلاحَظ تقديم المسيح نفسه علىٰ قومه (**رَبِّي وَرَبّكُمْ**)، ففيه تأكيدٌ علىٰ عبوديته، وفي تأخيرهم إلماحٌ إلىٰ بُعدهم عن توحيد الله- وخلَقكم ورعاكم وربّاكم (**وربكم**)، ويحذركم من الشِّرك بـ(**الله**) المتفرد بالوحدانية، وإلَّا فإن (**الله**) يمنعكم الجنة ويُسكنكم النار.

إنَّ بقية الآية المحتشدة بالحديث عن (**اللهِ الرَّبِّ**) استدعت التَّعبير (**المسيح**) وحده؛ لتُبرز به غايةَ ألوهية الله وعبودية عيسىٰ في دفقةٍ واحدةٍ.

وفي تأكيد المسيح علىٰ كونه (**مَأْلُوهًا مَرْبُوبًا**) وكون قومه (**مَأْلُوهِين مَرْبُوبِين**) كذلك ما يُغني عن إعادة ذِكر مريم (**ابن مريم**)؛ فإن كان ابنها (**المسيح**) -علىٰ ما

يمارسه من معجزاتٍ- مألوهًا مربوبًا، فليس لها -وهي الشِّق الأضعف- إلَّا أن تكون كذلك. والله أعلم.

❖ **ثالثًا: آية (التَّوبة/٣٠):**

لم يَرد الفعل (**يُضَاهِئُونَ**) إلَّا في هذه الآية: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ [التوبة:٣٠]، و"**المضاهأةُ: المشاكلةُ**"(١)، و"**المشاكلةُ: الموافَقةُ**"(٢)، ومن ثَمَّ فإن مبنىٰ هذه الآية علىٰ إثبات التَّطابق التَّام بين قولين: قول اليهود، وقول النَّصارىٰ، فلمَّا تركَّب القول الأقدم وهو قول اليهود علىٰ هذا النَّحو: (**عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ**) ناسبه أن يأتي القول الأحدث وهو قول النَّصارىٰ علىٰ الشَّاكلة ذاتها (**الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ**)؛ لتتحقَّق المضاهأة علىٰ أتم وجهٍ، يقول أبو حيان: "**يضاهي قولُ النّصارى في دعواهم بُنوة عيسى قولَ اليهود في دعواهم بُنوة عُزيرٍ**"(٣).

إنَّ هذه الآية الكريمة لم تورد الاسم (**عيسى**) الذي يُشير إلىٰ شخص الرسول؛ لأن الحديث هنا عن شيءٍ أبعد من الرسالة، إنه حديثٌ عن كونه (**ابن الله**)، وفي ذلك إلماحٌ إلىٰ أنكارهم رسالته؛ ومن ثمَّ غاب عن السياق ما قد يومئُ إليها.

---

(١) **لسان العرب**: مادَّة: (ض.ه.أ).

(٢) **القاموس المحيط**: مادَّة: (ش.ك.ل).

(٣) **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد النُّوتي، أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣م: ٥/ ٣٢.

ولم يأتِ التَّعبير (**ابن مريم**) في هذه الآية؛ لمجيء (**ابن الله**)، فهو يُغني عن مجيء (**ابن مريم**)، أضف إلىٰ ذلك أن المشاكلة بين عُزير والمسيح في هذه الآية نبعتْ من المعجز الذي فعله كلاهما بنفسه، لا من جهة غيره (**كأم المسيح مثلًا**)، **فعزيرٌ** جُمعت التوراة كلها في صدره وحده دون بقية قومه[1]، **والمسيح** أتىٰ بما لم يأتِ به سائر بني إسرائيل، ومن ثمَّ لم يكن هناك داعٍ لذكر (**مريم الأم**)؛ إذ القصد إلىٰ إثبات معجزة الابن من جهة ما يمارسه هو. والله أعلم.

وإنما اختير لفظ (**المسيح**) دون سِواه؛ ليناسب (**ابن الله**) بعده، فإن المسح المبارك المؤدي إلىٰ أفعالٍ من جنس أفعال الإله جعلتهم يتوهمون صلة قرابةٍ بين الله -سبحانه- والمسيح، وليس في (**عيسى**) أو (**ابن مريم**) ما يؤدي هذا المعنىٰ في هذه الآية. والله أعلم.

(١) يُنظر: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، أبو الفضل شهاب الدِّين الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د/ ط، د/ ت: ١٠/ ٨١، ٨٠، **والتَّحرير والتَّنوير**: ١٠/ ١٦٨.

المبحثُ الرابعُ: عيسى [1]

ورد هذا الاسم في تسع آياتٍ، هي:

١. ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ **وَعِيسَىٰ** وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾. [البقرة].

٢. ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ **عِيسَىٰ** مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢﴾. [آل عمران].

٣. ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ **يَٰعِيسَىٰٓ** إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٥٥﴾. [آل عمران].

٤. ﴿إِنَّ مَثَلَ **عِيسَىٰ** عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾. [آل عمران].

٥. ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ **وَعِيسَىٰ** وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤﴾. [آل عمران].

---

(١) كان من المتوقع أن يتقدم الحديث عن (عيسى ابن مريم) على (عيسى)، على غرار ما تمَّ في الحديث عن (المسيح عيسى ابن مريم)، ثم (المسيح ابن مريم)، ثم (المسيح) -من التّعبير الأطول إلى الأقصر- لكن لمَّا كان التَّعبير (عيسى ابن مريم) سينبني تناوله على تناول التَّعبير (عيسى)؛ قدَّمناه هنا.

٦. ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ **وَعِيسَىٰ** وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾. [النساء].

٧. ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ **وَعِيسَىٰ** وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥﴾. [الأنعام].

٨. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ **وَعِيسَىٰٓۖ** أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾. [الشورى].

٩. ﴿وَلَمَّا جَآءَ **عِيسَىٰ** بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣﴾. [الزخرف].

يتكئ البحث في سر اختيار التَّعبير (عيسى) في هذه الآيات دون غيره علىٰ كون كلمة (عيسى) هي الكلمة الدَّالة علىٰ شخص الرسول النبي، بلا إشارةٍ إلىٰ خوارقَ ماديةٍ مارسها (المسيح)، ولا إلىٰ مولده المعجز (ابن مريم)، أي هي الكلمة المعبرة عن هذا الرسول دون أدنىٰ تفوقٍ له علىٰ غيره من الأنبياء، فهو وهُم سواءٌ في النبوة وحسب، إنها الكلمة التي تساوي (نوح) أو (إبراهيم) أو (موسى) أو غيرهم – عليهم السَّلام– مساواةً تامةً، بلا تفريقٍ.

والناظر إلىٰ هذه الآيات التِّسع –وسياقاتها بالطبع– يدرك كيف أنها قامت علىٰ الحديث عن عيسىٰ الرسول النبي بعيدًا عن الخصوصية الماثلة في مولده ومعجزاته، ويمكن أن نعضد هذه الوجهة بما يأتي:

أولًا: مجيء (عيسى) مع كثيرٍ من الأنبياء:

فمن الملاحظ أنَّ الاسم (عيسى) يأتي وسط حشدٍ كبيرٍ من أسماء الأنبياء يصل أحيانًا إلىٰ ثمانية عشر رسولًا ونبيًّا كما في سورة الأنعام، ومن ذلك:

- ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ **إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ** وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ **وَعِيسَىٰ** وَمَآ أُوتِيَ **ٱلنَّبِيُّونَ** مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾. [البقرة].

- ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ **إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ** وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ **وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ** مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤﴾. [آل عمران].

- ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ **نُوحٖ** وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ **إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ** وَٱلۡأَسۡبَاطِ **وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ** وَءَاتَيۡنَا **دَاوُۥدَ** زَبُورٗا ١٦٣﴾. [النساء].

- ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ **إِبۡرَٰهِيمَ** عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ **إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ** كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ **وَنُوحٗا** هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ **دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ** وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ **وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ** كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ **وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ** وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦﴾. [الأنعام].

- ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ **نُوحٗا** وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ **إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ** أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾. [الشورىٰ].

إنَّ هذا الإلحاح علىٰ اختيار كلمة (عيسى) دون مصاحباتها عند إيراد العديد من الأنبياء -بأسمائهم، وبصيغة الجمع (النبيون/٣ مرات)- دليلٌ علىٰ كون هذه الكلمة تشير إلىٰ شخص النبي الداخل في زمرة الأنبياء عند سرد أسمائهم، دون حديثٍ عن معجزاتهم.

ثانيًا: تعدُّد الإشارة إلى المساواة بين الأنبياء:

تَرِدُ في هذه الآيات التسع -دون غيرها من الآيات المتحدثة عن عيسىٰ- إشاراتٌ إلىٰ كون الأنبياء متساوين في:

- **الوحي:**

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾. [النساء].

- **الشّريعة:**

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾. [الشورىٰ].

- **وجوب الإيمان بهم بلا تمييز:**

- ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ **لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ** وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾. [البقرة].

• ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾. [آل عمران].

وفي خضم هذه التسوية بين الأنبياء يرد الاسم (عيسى) وحده؛ إشارةً إلىٰ كونه -هنا- الرسولَ والنبيَّ فقط، دون أدنىٰ مميزاتٍ إضافيةٍ، فهو وهُم سواءٌ في الإيحاء إليهم، وفي تماثل شِرعتهم، وفي وجوب إيمان الناس بهم مجتمعين بلا تنحيةٍ لأحدهم.

ومما هو مرتبطٌ بهذه النقطة قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾. [آل عمران]، فهو قائمٌ علىٰ إجراء المماثلة بين النبيْن: عيسىٰ وآدم -عليهما السلام- في الخلق العجيب، ومن شدة المماثلة بينهما أن ورد ذِكر كلٍّ منهما (٢٥) مرةً في القرآن الكريم!.

ثالثًا: الإقرارُ بالإسلام:

تُظهر هذه الآيات أنَّ الإسلام هو الدِّين المَرْضِيُّ عند الله، وأن المؤمنين مع كل نبيٍّ يشهدون بذلك:

• فمع الرسول محمد -صلىٰ الله عليه وسلم: (وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ). [آل عمران:٨٤].

• ومع قوم محمد -صلىٰ الله عليه وسلم: (وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ). [البقرة:١٣٦].

• ومع حواريي عيسىٰ -عليه السلام: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. [آل عمران:٥٢].

إنَّ هذه المساواة بين الجميعِ في الإقرار بالإسلام دينًا ارتضت التَّعبير (عيسى) دون ما عداه؛ إلماحًا إلىٰ المساواة كذلك بينه وبين إخوانه من الرسل والأنبياء في أصل الدِّين، لا فرق في ذلك بين أولهم وآخرهم، بين من وُلد بلا أبٍ ومَن وُلد لأبوين، بين من يُحيي الموتىٰ ويبرئ العاهة العَصِية علىٰ البُرء ومن يُلقي عصا فتنقلب حيةً. والله أعلم.

وحتَّىٰ الآيات التي لم تورد أحدًا من الرسل والأنبياء مع (عيسى) قامت كذلك علىٰ التَّنبيه علىٰ رسالته، لا معجزاته، فمن ذلك:

• ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾. [آل عمران].

فإن الأنصار هم من يناصرونه في رسالته ودعوته، "(نَحْنُ أَنْصَارُ اللّهِ)، أي: أنصار دِينه ورسوله"(١)، ثمَّ إنَّ الآية التَّالية صرَّحت باتباع الحواريين الرسولَ عيسىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ ...﴾. [آل عمران:٥٣].

• ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾. [آل عمران].

(١) الكشّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: ص/ ١٧٤.

ففي الآية تصريحٌ بالأتباع (الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ)، وهم "الذين صدّقوه واتبعوا دِينه"[١]، كما أن رفعه إلىٰ السماء اقتضىٰ تجريده من أي وصفٍ قد يكون سببًا للرفع في وَهْم المغالين، من ولادته بلا أبٍ، أو إبرائه وإحيائه وإنبائه بالغيب، فهو حين يُرفعُ يُرفعُ وهو (عيسى) وحسب.

- ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾. [الزخرف].

فحديث الآية عن البينات والحكمة وتوضيح المختلَف فيه داخلٌ في صميم عمل الرسول، باعتباره رسولًا، لا بوصفه آتيًا بالخوارق. والله أعلم.

إن التَّعبير (عيسى) -فيما نرجحُ- إذا جاء وحده أشار إلىٰ صاحب الرسالة لا المعجزة.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لُبنان، د/ ط، د/ ت: ٢/ ٤٤.

المبحثُ الخامسُ: عيسى ابنُ مريمَ

ورد هذا التّعبير في ثلاث عشرة آيةً، هي:

١. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا **عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ** ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾. [البقرة].

٢. ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا **عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ** ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾. [البقرة].

٣. ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم **بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ** مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾. [المائدة].

٤. ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ **وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ** ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾. [المائدة].

٥. ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ **يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ** ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ

بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾. [المائدة].

٦. ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ **يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ** هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾. [المائدة].

٧. ﴿قَالَ **عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ** ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾. [المائدة].

٨. ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ **يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ** ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾. [المائدة].

٩. ﴿ذَٰلِكَ **عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ** ۖ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾. [مريم].

١٠. ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ **وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ** ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾. [الأحزاب].

١١. ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا **بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ** وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾. [الحديد].

١٢. ﴿ وَإِذْ قَالَ **عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ** يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾. [الصف].

١٣. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾. [الصف].

❖ **بين يدي التّعبير (عيسى ابن مريم):**

يبدو –والله أعلم– أنَّ هذا التَّركيب هو الآثر أو الأدل عند التَّعبير عن عيسىٰ –عليه السلام– في القرآن الكريم، ويؤكد ذلك:

- **أنَّه أكثر تعبيرٍ وردَ في أثناء الحديث عن عيسىٰ –عليه السلام.**
- **أنَّه أول تعبيرٍ عن عيسىٰ –نزوليًا ومصحفيًا:**

- نزوليًا: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤﴾. [مريم].

- مصحفيًا: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾. [البقرة].

- **أنَّه آخرُ تعبيرٍ عن عيسىٰ –نزوليًا ومصحفيًا:**

- نزوليًا: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾. [المائدة].

- **مصحفيًا:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ **عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ** لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾. [الصَّفّ].

إذا كانت المقاربة التَّحليلية مع التَّعبير (**عيسى**) قد انطلقت من فكرة أنَّ الاسم (**عيسى**) دالٌّ علىٰ الرسول وحسب، بصرف النَّظر عن المعجزات المكتنفة وجوده، فإن المقاربة مع التَّعبير (**عيسى ابن مريم**) ستختلف قليلًا؛ إذ إنها لن تتكئ علىٰ الرسالة فقط، بل ستُضيف إليها خصوصيةً ماثلةً في اللاحقة (**ابن مريم**)؛ فزيادة المبنىٰ زيادةٌ في المعنىٰ.

إننا مع هذه الآيات الثلاث عشرة سنكتشف نمطًا مغايرًا للنمط الذي جاءت عليه الآيات الخاصة بـ(**عيسى**)، نمطًا لا يقوم علىٰ التَّماهي بين عيسىٰ والرسل – وإن جاؤوا معه هنا أيضًا، وإنما يشيرُ –إضافةً إلىٰ الرسالة– إلىٰ خصوصيةٍ إضافيةٍ لعيسىٰ –عليه السلام، وتتبدَّىٰ هذه الخصوصية فيما يأتي:

أولًا: انصباب الآيات على عيسى لا الأنبياء:

لن نجد هنا حشدًا بتعداد أسماء الأنبياء كما حدث مع كلمة (**عيسى**) آنفًا، بل نجد اقتضابًا في الإشارة إليهم وتقلصًا في تعدادهم؛ إفساحًا للمجال أمام (**عيسى ابن مريم**)، الرسول ذي الخصوصية، فتجد الآية بينما تورد –في لمحةٍ– رسولًا واحدًا مع عيسىٰ، أو إشارةً سريعةً إلىٰ مجمل الرسل، أو لا تورد أحدًا معه علىٰ الإطلاق، تفرد بقيتها لعيسىٰ في إرخاءٍ لعِنان السَّرد، مثل:

• ﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا **بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ** وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَۖ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً

ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾. [الحديد].

ففي مطلع الآية ومضةٌ سريعةٌ عن (الرسل)، يليها حديثٌ مسهبٌ عن عيسىٰ – عليه السلام– حتىٰ نهاية الآية، وكذلك قوله تعالىٰ:

• ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾. [المائدة].

حيث تُفسح الآية المجال للكلام عن (عيسى ابن مريم) وحده، دون من عَداه.

ومما يعضد ما تذهب إليه هذه المقاربة أنَّ الرسل والأنبياء الذين ورد ذِكرهم هنا لهم خصوصياتٌ توازي خصوصيات عيسىٰ، إجمالًا وتفصيلًا؛ أما إجمالًا فهذه الآيات تحوي الإشارة الأولىٰ إلىٰ تفضيل بعض الأنبياء علىٰ بعض، وهذا تميزٌ اقتضىٰ التعبير عن عيسىٰ بما يميزه (عيسى ابن مريم)، قال تعالىٰ:

• ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾. [البقرة].

فالآية لا تُشير إلىٰ مجرد الرسل، تلك الإشارة التي لو كانت لاقتضت –فيما أحسب– التعبير بـ(عيسى) فقط، وإنما تشير إلىٰ رسلٍ مفضَّلةٍ مميَّزةٍ (تكليم، رفع

درجات)، ومن ثمَّ استدعت التعبير بـ(عيسى ابن مريم) الذي يشير إلىٰ الرسالة مضافًا إليها الميزة.

وأما تفصيلًا:

• فقد جاء مع موسىٰ وحده، وخصوصية موسىٰ التي ترقىٰ إلىٰ خصوصية عيسىٰ تكمن في كونه (كليم الله)، وذلك قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ...﴾. [البقرة:٨٧]، وقوله: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾. [البقرة:٢٥٣].

• وجاء مع داود وحده، ولداود خصوصياتٌ تضاهي ما لعيسىٰ: من تسبيح الجبال والطير معه، وإلانة الحديد له، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾. [المائدة].

• وجاء مع نوحٍ وإبراهيم وموسىٰ ومحمَّد مجتمعين –عليهم الصلاة والسلام، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧﴾، وهؤلاء الأربعة – إضافة إلىٰ عيسىٰ– يشكلون الفئة المميزة المفضلة من الرسل، إنهم (أولو العزم).

وهكذا –كما رأينا– تنتهج الآيات التي اختارت التعبير (عيسى ابن مريم) سبيلَ الإيجاز الشديد في عدد الرسل، والموجه –في الوقت ذاته– نحو الخصوصية.

ثانيًا: الإشارة إلى تفرُّد عيسى:

تعجُّ هذه الآيات –خلافًا للآيات المتعلقة بالتعبير (عيسى)– بأشياءَ تفرَّد بها عيسىٰ، تساير تفرده بانتسابه (عيسى ابن مريم)؛ إذ هو الرسول الوحيد الذي نُسِبَ في القرآن الكريم، ومن هذه الأشياء:

• **قوله: (وَقَفَّيْنَا):**

لم يرد هذا القول في القرآن سوىٰ أربع مراتٍ، كلها ورد في الآيات التي نحن بصددها، اثنتان منها في حق الرسل أجمعين:

- ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾. [البقرة:٨٧].
- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾. [الحديد:٢٧].

واثنتان في حق عيسى وحده:

- ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾. [المائدة:٤٦].
- ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾. [الحديد:٢٧].

وهذا عين التَّفرد من جهتين؛ الأولى: في وضعه منفردًا مقابل الأنبياء كلهم، والثانية: في اختصاصه دون سائر الرسل بالتَّقفية.

• **التأييد برُوح القُدُس:**

لم يتحدث القرآن عن بشرٍ مؤيَّدٍ بروح القُدُس إلَّا حديثه عن عيسىٰ -عليه السلام، وقد جاء هذا التأييد في ثلاثة مواضعَ، كلها ورد في الآيات التي ارتضت التعبير (عيسى ابن مريم)، وهذه المواضع هي:

- ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾. [البقرة:٨٧].
- ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾. [البقرة:٢٥٣].
- ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ...﴾. [المائدة:١١٠].

إنَّ هذا التفرد بالتأييد بروح القُدُس استدعىٰ التعبير (عيسى ابن مريم)؛ فـ(عيسى) تساوي البينات/ الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، و(ابن مريم) تساوي التأييد بروح القُدُس.

- **البشارة المستبقلية:**

مما انفرد به عيسىٰ أنْ بَشَّرَ برسولٍ يأتي من بعده، معيِّنًا اسمه تعيينًا، قال تعالىٰ:

- ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾. الصف.

وتلك خصوصيةٌ تَنضاف إلىٰ خصوصيات عيسىٰ الجالبة للتعبير (**عيسى ابن مريم**) في هذه الآيات دون غيرها.

ثالثا: الحديث عن مريم:

تكررت الإشارة –بصورةٍ لافتةٍ– في هذه الآيات وسياقاتها إلىٰ ما يوازي كلمة (**مريم**) من مثل: (**أم/ والدة**)، ومن ذلك:

- ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾. [المائدة:٧٥].
- ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾. [المائدة:١١٠].
- ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. [المائدة:١١٦].
- ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾. [مريم:٣٢].

إنَّ الحديث المتكرر عن (**الأم/ الوالدة**) في هذه السياقات ناسبه بقوةٍ إيراد الاسم (**عيسى**) متبوعًا باللاحقة (**ابن مريم**)؛ إشارةً إلىٰ تلك الأم/ الوالدة، ومناسبةً للحديث عنها. والله أعلم.

وهكذا يتبدَّىٰ أنَّ الفارق الجوهري بين السياقات التي آثرت (**عيسى**) والسياقات التي آثرت (**عيسى ابن مريم**) يكمُن في كون السياقات الأولىٰ انصبت علىٰ المساواة بين الأنبياء في الرسالة ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾، وكون السياقات الثانية انصبت –إضافةً إلىٰ الرسالة– علىٰ المفاضلة بين الأنبياء في المعجزات ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. والله أعلم.

المبحثُ السَّادسُ: ابن: (ابنها، ابن مريم)

وردِ التَّعبير عن عيسى بـ(ابن) دون سابقة (عيسى، أو المسيح) في ثلاثة مواضع، هي:

١. ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١ ﴾. [الأنبياء].

٢. ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ٥٠ ﴾. [المؤمنون].

٣. ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ ﴾. [الزخرف].

تشترك هذه الآيات الثَّلاث في كونها اقتصرت عند حديثها عن عيسىٰ -عليه السَّلام- بوصفه مجرد (ابن)، وفي أنها كلها (مكية)، ولكنها -في الوقت ذاته- تفترق في أن آية (الأنبياء) لم تورد اسم الأم (مريم: ابنها)، في حين أوردته آيتا (المؤمنون، والزُّخرف): (ابن مريم).

ومبنى تناول هذه الآيات سيقوم على افتراضين:

(١) أنَّ السِّياقات الثَّلاثة التي حوت هذه الآيات لم تأتِ للحديث عن رسالة عيسىٰ؛ لذا لم يَرِد الاسم (عيسى) المشير إلىٰ الرسول النبي ورسالته، ولم تأتِ -كذلك- لسرد معجزاته التي أجراها الله بإذنه علىٰ يديه، والتي قِوامها المسح؛ لذا لم يرد الوصف (المسيح).

(٢) أنَّ هذه الآيات -وفق ترتيبها في المصحف: الأنبياء، المؤمنون، الزُّخرف- تتدرجُ ارتقائيًّا في سُلَّم الحديث عن مراحل حياة عيسىٰ -عليه السلام.

وفيما يأتي تفصيلُ ذلك:

❖ **أولًا: آية (الأنبياء):**

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾. [الأنبياء].

تشتمل هذه الآية -فيما تشتمل- علىٰ أمريْن متعلقيْن بمريم؛ الأول: (**أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا**)، والثَّاني: (**فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا**)، وهما الأمران اللذان وردَا أول ما وردَا -مصحفًا ونزولًا[1]- في هذه الآية؛ مما يقوي من احتمال أنَّ هذه الآية تتحدَّث عن مرحلةٍ متقدمةٍ من حياة عيسىٰ: المرحلة الأولىٰ: مرحلة (**النّفخ والتّكوين**) في بطن أُمه، أي أنه لم يولد بعد، ومن ثمَّ لم يكتسب اسمًا، ولم يصبح رسولًا؛ فاستغنت الآية عن (**عيسى**)، ولم يأتِ بمعجزاتٍ؛ فلم يرد (**المسيح**)، إضافةً إلىٰ كون كلمة (**المسيح**) من الكلمات التي تخص الجانب المدني من القرآن؛ إذ لم ترد مطلقًا في المكي؛ ولعلَّ ذلك -والله أعلم- لكون كلمة (**المسيح**) مرتبطة بالحديث عن أهل الكتاب، "(**المسيح**): **أصل هذا الوصف أنه كان في شريعتهم: (مَن مسحه الإمام بدُهن القدس كان طاهرًا متأهلًا للملك والعلم والمزايا الفاضلة، مباركًا)**"[2]، والحديث عن أهل الكِتاب إنما هو من خصائص المدني لا المكي[3].

---

(١) وردت الإشارة إلىٰ هذين الأمريْن في سورة (**التّحريم**): ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾. [التحريم:١٢]، وسورة التَّحريم (**مدنية**)، والأنبياء (**مكية**)؛ لذا فسورة الأنبياء متقدمةٌ في التَّرتيبيْن: النُّزولي، والمصحفي.

(٢) **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور**: ٤/ ٣٩٧.

(٣) في خصائص المكي والمدني يُنظر: **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التّفسير**، محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ ٣، ١٩٩٠م: ص/ ١٤٨، و**علوم القرآن: مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه**، عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ ١، ١٤٠١، ١٩٨١م: ص/ ١٤٢، و**مورد الظمآن في علوم القرآن**، صابر حسن محمد أبو سليمان، الدار السلفية، الهند، ط/ ١، ١٤٠٤ه، ١٩٨٤م: ص/ ٢٧.

وصحيحٌ أنَّ السياق قبل هذه الآية يتحدث عن مجموعةٍ من الرسل والأنبياء؛ مما كان يتطلب مجيء كلمة (عيسى) المعبرة عن الرسول ورسالته، علىٰ نحو ما حاولنا إثباته في المبحث الرَّابع، لكن هذا ما لم يحدث عنه، بل إنَّ الآية ركَّزت الحديث علىٰ الأم وحدها، وألمحت إلىٰ عيسىٰ إلماحةً سريعةً للغاية، فهو مجرد (ابن) لا يزال في ظلمات الرَّحم.

ولعلَّ تفسير هذا الأمر يكمُن في أنَّ الحديث الوارد هنا عن الأنبياء لم يكن حديثًا عنهم بوصفهم رسلًا لهم رسالةٌ وأقوامٌ، فلم ترد إشارةٌ إلىٰ هذا مطلقًا، وإنما هو حديثٌ عنهم بوصفهم ذوي بلاءات حلَّت بهم هم في أنفسهم بعيدًا عن الرسالة والأقوام المعارضين، ولننظر:

- فـ(أيوب) -عليه السلام- قد نزل به (هو) المرض الشديد حتَّىٰ أنهكه، فدعا ربَّه؛ فكشف ضُره:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾. [الأنبياء].

- و(إسماعيل، وإدريس، وذو الكفل) -عليهم السلام- عُدُّوا (هم) من الصَّابرين علىٰ البلاء، عقِب الحديث عن (أيوب) مضرب المثل في الصَّبر علىٰ البلاء: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾. [الأنبياء].

وذلك مِن مِثل صبْر إسماعيل "على الرضا بالذّبح... وبسُكناه بوادٍ غير ذي ذرعٍ"[1].

(١) التّحرير والتّنوير: ١٧/ ١٢٨ بتصرفٍ.

• و(ذو النّـون/ يـونُس) -عليه السلام- كـم عـانىٰ (وحـده) في الظلمـات: الحوت والبحر والليل البهيم، فنادىٰ ربه، فنُجي (هو) من الغمِّ:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾. [الأنبياء].

• و(زكريا) عاش طويلًا محرومًا من الولد، فنادىٰ ربه، فوهبه (هو) الولد:

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾. [الأنبياء].

إن هذا التَّركيز علىٰ بلاءات الأنبياء استدعىٰ حديثًا عن بلاء (مـريم)، لا حـديثًا عن عيسىٰ؛ إذ هي صاحبة البلاء الشديد الوقْع علىٰ المرأة، أن تحمل بلا زوجٍ، فتُتهم في عِرضها، وهي ابنةُ الأنبياء، وذاتُ النَّسب الشَّريف الطَّاهر؛ لذا أفسحت الآية المجال لها، مشيرةً إلىٰ أصل بلائها (**الابـن**) الـذي سيولد من غير أبٍ، ولـم تُورد الاسم (**عيسى**) لكون الحديث السابق عن الرسل حديثًا عن بشرٍ مبتلين، لا عن بشرٍ مرسلين. والله أعلم.

ثمَّ إنَّ الحديث عن زكريا ويحيىٰ -قبل الآية موضع البحث مباشرةً- اقتضىٰ البدء بمريم بعدهما ثم (**الابن**)؛ مناسبةً لعادة القرآن في حديثه عن زكريا ويحيىٰ ومريم وعيسىٰ؛ فهو يرتبهم -دائمًا- هذا التَّرتيب[1].

(١) ورد الحديث عنهم -عليهم السَّلام- في موضعين يسبقان موضع سورة (**الأنبياء**) الذي نحن بصدده؛ **الأول**: في سورة (**آل عمران**):

إنَّ هذه الآية إذْ ترصد المرحلة الأولىٰ لحياة عيسىٰ -مرحلة النَّفخ والحمل- تؤثِر الجمع بين الأم وجنينها في كلمةٍ واحدةٍ (**ابنها**)؛ تعبيرًا عن كونه لم ينفصل عنها بعدُ، فلا يزال جزءًا منها يعيش بداخلها، إنهما -الأم والابن- يشكلان معًا في هذه المرحلة كُلًّا واحدًا. والله أعلم.

❖ **ثانيًا: آية (المؤمنون):**

﴿ وَجَعَلْنَا **ٱبْنَ مَرْيَمَ** وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾. [المؤمنون].

تتمثل خصوصية هذه الآية في كونها بمثابةِ لمحةٍ خاطفةٍ تصور لقطةً من ماضي عيسىٰ وأمه، تلك اللقطة التي لم تَرِد في غير هذا السياق.

إنَّ هذه اللقطة المرصودة هنا تمثل المرحلة الثانية بعد المرحلة الأولىٰ التي أشارت إليها سورة (**الأنبياء**)، إنها مرحلة (**الإيواء والحماية**) من فتك المتربصين بهذا الابن الصغير وتلك الأم المتهَمة ظلمًا وزورًا، إنَّ هذا الابن هنا قد تجاوز مرحلة (**الجنين**) إلىٰ مرحلة (**الطفولة**) التي تشير إليها جملة (**وَآوَيْنَاهُمَا**

- ﴿هُنَالِكَ دَعَا **زَكَرِيَّا** رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ **بِيَحْيَىٰ** مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾. [آل عمران].
- ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ **يَٰمَرْيَمُ** إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ **ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ** وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾. [آل عمران].

والموضع الثّاني: في سورة (مريم):

- ﴿**يَٰزَكَرِيَّآ** إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ **يَحْيَىٰ** لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾. [مريم].
- ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ **مَرْيَمَ** إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾. [مريم].
- ﴿ذَٰلِكَ **عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ** قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾. [مريم].

إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)، فالإيواء إلىٰ مكانٍ ذي طعامٍ وشرابٍ، وضمير التَّثنية يشيرانِ معًا إلىٰ أننا أمام اثنين لا واحد: أمام أمٍّ وابنٍ منفصليْن؛ لذا آثرت الآية الفصل بين الابن وأمه، فقالت: (**ابن مريم**) -ولم تقل (**ابنها**) كما في سورة (**الأنبياء**)- إشارةً إلىٰ تلك المرحلة الجديدة من مراحل عيسىٰ، مرحلة الانفصال عن أمه.

لكن هذا الانفصال لا يعني الاستقلال بحياته بعيدًا عنها، فلا يزال قريبًا منها، يحتاج إلىٰ رعايتها؛ فهو لم يكن بعدُ قد صار رسولًا؛ ومن ثَمَّ لم تأتِ كلمة (**عيسى**)، ولم تكن معجزات المسح قد بدت عليه؛ فاستُغني عن (**المسيح**)، وإنما هو فقط (**ابن مريم**).

إنَّ الجذر (أ. و. ي) يحمل دلالةً علىٰ الرحمة والشَّفقة: "**أَوِّ لفلانٍ: أي ارحمه**"، "**وأَوَى إليه... رَقّ ورَثَى له**"، "**كنتُ آوَى له: أي أرِقُّ له وأرثِي**"، "**واستأويتُه: أي استرحمتُه**"[1]، وهو بهذه الدِّلالة يعضد التَّعبير عن عيسىٰ بكلمة (**ابن**) من ناحيةٍ، وكلمة (**مريم**) من ناحيةٍ أخرىٰ؛ فكلمة (**ابن**) بما تشير إليه من الصِّغر المستلزم للرحمة، وكلمة (**مريم**) بما تحمل من ظلال الاستضعاف الدَّاعي إلىٰ الشَّفقة، كلتاهما معًا تناسبان الحديث عن الإيواء الرحيم، "**وأمّا قوله: (وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ) فهو تنويهٌ بهما؛ إذ جعلهما الله محلَّ عنايته، ومظهر قدرته ولُطفه**"[2].

ثم إنَّ هذا التدخل الإلهي بالإيواء كان سببه أنه (**ابن مريم**) المولود بلا أبٍ، وأنها وَلدت من غير زوجٍ، ومن ثَمَّ ناسبه التَّعبير هنا بما دلَّ من أوجز طريقٍ علىٰ سبب العداء والعناء، وعلىٰ سبب الإيواء في آنٍ واحدٍ.

---

(١) **لسان العرب**: مادَّة: (أ.و.ي) بتصرفٍ.

(٢) **التّحرير والتّنوير**: ١٨/ ٦٧.

وإذا كانت سورة (**الأنبياء**) قد جمعت بين الأم وابنها في كونهما (**آيةً**) واحدةً، لا آيتين: (وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً)؛ تعبيرًا عن شدَّة الالتصاق بين الأم وجنينها، فإن آية سورة (**المؤمنون**) صنعت الصنيع ذاته، فجمعت بين الابن وأمه في كونهما (**آيةً**): (وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً)؛ تصويرًا لشدة الاحتياج المتبادل بين الابن الصغير والأم، فكلاهما محتمٍ بالآخر مؤتنسٌ به محتاجٌ إليه؛ مما تناسب معه التَّعبير (**ابن مريم**) المعبِّر جدًّا عن غاية القرب بين الوليد ووالدته؛ كما أنَّ كلمة (**آية**) تُرشِّح التَّعبير (**ابن مريم**) دون غيره؛ إذ أصل الآية في أنْ وُلد من أمٍّ بلا أبٍ.

وقد تقدَّم (**الابن**) في هذه الآية على (**الأم**): ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾. [المؤمنون:٥٠]، على خلاف آية (**الأنبياء**):﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا **وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ** ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾. [الأنبياء:٩١]؛ لكون آية (**المؤمنون**) جاءت مباشرةً عقِب ذِكر (**موسى**): ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾. [المؤمنون]؛ فبُدئ بالابن ليتصل الحديث عن الرسوليْن النبييْن: (**موسى وعيسى**)، وأما آية (**الأنبياء**) فقد صُدِّرت بالحديث عن الأم: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾؛ فناسبه تقديمها. أضف إلى ذلك أن سورة (**الأنبياء**) متقدمةٌ على سورة (**المؤمنون**) مصحفيًّا ونزوليًّا، فقُدمت فيها الأم؛ لكونها بمثابة الأصل لابنها، فهي من حَملت، ووَضعت. والله أعلم.

إنَّ هذه الآية -مثلها مثل آية سورة (**الأنبياء**)- لم تأتِ للحديث عن الرسول (**عيسى**)، ولا عن صاحب الخوارق (**المسيح**)[1]، وإنما جاءت للحديث عن (**ابن**

(١) هذا بالإضافة إلى كون كلمة (**المسيح**) إنما جاءت في المدني فقط، كما أشرنا من قبلُ.

مـريم): عـن الطِّفـل الـصَّغير المُعجـز في أصـل وجـوده، لا المعجـز بمـا يمارسـه، وللحديث -كذلك- عن الأم الحائرة بوليدها.

ويبقى بعد ذلك سؤال عن سر مجيء هذه الإشـارة السـريعة إلى عيسـى وأمه في هذا السياق:

إنَّ النَّاظر إلىٰ هذا السياق يلحظ مجيء كلمة (بَشَرَيْنِ) في حقِّ (موسى وأخيه هارون)، قال تعالىٰ: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾. [المؤمنون]، ولم تأتِ كلمة (بَشَرَيْنِ) -مُثنَّاةً- في غير هذا الموضع في القرآن الكريم؛ فكأنه لمَّا ذُكر اعتراض ملأ فرعون علىٰ الإيمان بموسىٰ وهارون؛ لبشريتهما، أورد ما يومئ إلىٰ بشرية عيسىٰ وأمه؛ تعريضًا بأهل الكتاب في تأليههم لعيسىٰ وأمه، فقال: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾ ﴾. [المؤمنون]، فالأم ووليدها (بَشَرَان) كما كان موسىٰ وهارون (بَشَرَيْنِ)، وقد عبَّرت الآية عن الإيغال في البشرية؛ ففي ذِكر الأم مرتين متتاليتين بلا فاصلٍ (مريم، أمه) والتعبير عن عيسىٰ بمجرد كلمة (ابن) ما يُوحي بقمَّة الاحتياج إلىٰ هذه الأم: رعايةً واحتضانًا، وفي الجمع بين الأم والابن في ضمير الفعل (وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ) دليل افتقارهما البالغ إلىٰ من يقوم بشؤونهما، في أدنىٰ ما يحتاجه البشر من أسباب العيش: الطَّعام والشَّراب، فـ(ربوة ذات قرارٍ ومَعينٍ): **"ذات ثمارٍ وماءٍ... لأجل الثِّمار يستقرُّ فيها ساكنوها"**(١).

إنَّ المعنىٰ علىٰ هذا -والله أعلم: إذا كان ديدن الأقوام السابقة الاحتجاج ببشرية الرسل في رفضهم الإيمان بهم، فقد جئتم أنتم -يا بني إسرائيل- بدعًا من الاعتقاد، وهو أنَّ خلعتم الألوهية علىٰ (بَشَرَيْنِ) وُلِدَا وترعرعَا أمام أعينكم، ويفتقرون إلىٰ ما

(١) **الكشّاف عن حقائق غـوامض التَّنزيـل وعيـون الأقاويـل في وجـوه التّأويـل**: ص/ ٧٠٩ بتصرفٍ، ويُنظر: **البحر المحيط**: ٦/ ٣٧٧.

تفتقرون إليه من المسكن: (آوَيْنَاهُمَا)، والمطعم والمشرب: (رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)، وهذا منكم ضَعف عقلٍ، وفساد قياسٍ؛ إذ كأنكم بفعلكم هذا قد تنازلتم عن طلب الرسل الملائكة كما ادعىٰ أسلافكم -وهو أقل خطرًا من ادعاء الألوهية لبشرٍ- وارتضيتم بدلًا من ذلك تأليه البشر. والله أعلم.

❖ **ثالثًا: آية (الزخرف):**

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾. [الزخرف].

تُشير هذه الآية إلىٰ مرحلةٍ بعيدةٍ عن المرحلتين السَّابقتين -الأنبياء والمؤمنون- إنها مرحلةٌ تتجاوز حياته المادية -الماثلة في المرحلتين: الأولىٰ والثانية- إلىٰ حياته المعنوية الباقية، حيث أصبح مضرب المثل لقوم محمدٍ -صلىٰ اللهُ عليه وسلم.

وواضحٌ أنَّ مبنىٰ الآية علىٰ الإيجاز الشَّديد؛ الماثل -أولًا- في بناء الفعل للمجهول (ضُرب)، وثانيًا: في عدم إيراد المثل نفسه، فلم تَذكر الآية في أي شيءٍ ضُرب عيسىٰ مثلًا، وثالثًا: في حذف الرابط بين شِقَّي الآية: (وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا)، (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) بلا حرف عطفٍ؛ ومن ثَمَّ -إحكامًا لخاصية الإيجاز هنا- اختُزل التَّعبير عن عيسىٰ في (ابن مريم).

ويبقىٰ سؤال: لِمَ اختير هذا التَّركيب (ابن مريم) دون الاسم (عيسى) أو الوصف (المسيح)، وكلاهما بمفرده يمكن أن يحقق الإيجاز؟.

إن السياق هنا يتحدث عن مقارنة مشركي مكة بين آلهتهم من ناحيةٍ، وعيسىٰ – بوصفه مُتَّخَذًا إلهًا من ضُلَّال قومه- من ناحيةٍ أخرىٰ؛ زاعمين –حسب ما تورد كتب أسباب النزول(١)- أنَّ أصنامهم إذا كانت ستُلقىٰ في النار معهم كما يصرح القرآن بذلك: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾. [الأنبياء]، فإن عيسىٰ كذلك –بوصفه معبودًا- سيُلقىٰ –حاشاه- في النار مع مؤلهيه.

السياق إذًا لا يتحدث عن (عيسى) الرسول، ودليل ذلك أنه لمَّا تحدث عن رسالته بعد آياتٍ قليلةٍ –خمس آياتٍ فقط- سمَّاه (عيسى)، فقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾. [الزخرف]، والسياق –كذلك- لا يتحدث عن (المسيح) صاحب المعجزات، فلا إشارة هنا إلىٰ أيٍّ من معجزاته الخارقة، إضافةً إلىٰ مراعاة الأسلوب المكي من عدم استخدام كلمة (المسيح).

وإنما يتحدث السياق عن الآلهة، فبعد الآية موضع البحث مباشرةً يأتي قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ...﴾. [الزخرف:٥٨]، والاكتفاء بذكر (ابن

(١) في سبب نزول الآية يُنظر: **أسباب النزول**، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تخريج وتدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدَّمام، المملكة العربية السعودية، ط/ ٢، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م: ص/ ٣٠٦، ٣٧٦، و**أسباب النزول (لُباب النقول في أسباب النزول)**، جلال الدِّين السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٢ه، ٢٠٠٢م: ص/ ١٧٥، ٢٢٨، و**الصحيح من أسباب النزول**، عصام بن عبد المحسن الحميدان، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٠ه، ١٩٩٩م: ص/ ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٨٢.

مريم) أنسب للدلالة علىٰ الأساس الذي اعتمد عليه الضَّالون في تأليههم عيسىٰ: أَنْ كانت ولادته من غير أن يَمس أُمَّه بشرٌ.

وقد يقال: إن كلمة (**المسيح**) -بما تدل عليه من إتيان المعجزات التي لا تكون إلا لإلهٍ- كان من الممكن أن تؤدي الغرض نفسه، فلمَ لمْ ترد مكان (**ابن مريم**)؟.

إن الجواب -والله أعلم- يكمن في أنَّ المعجزات التي كان (**المسيح**) يأتيها بإذن ربه بالغةً ما بلغتْ من الغرابة والإعجاز- قد انتهت وتعطَّلت برفع عيسىٰ إلىٰ ربه، ومن ثَمَّ لم يبقَ -علىٰ الدوام- إلَّا أصل الإعجاز الماثل في كيفية إيجاده: أن حملته أُمُّه من دونِ رَجلٍ؛ فضُرب المثلُ بما هو أبقىٰ في الدلالة علىٰ الإعجاز (**ابن مريم**). والله أعلم.

الخاتمةُ

حاول هذا البحث إلقاء الضَّوء علىٰ الطَّرائق المتنوعة التي سلكها القرآن في حديثه عن عيسىٰ -عليه السلام، منقبًا في السياق عن القرائن التي رشَّحت مجيء تعبيرٍ دونَ سِواه في موضعٍ دون غيره، وقد انتهىٰ البحث إلىٰ مجموعةٍ من النتائج، لعل أهمها ما يأتي:

١. أغلب الحديث عن عيسىٰ -عليه السلام- جاء في المدني من القرآن (٢٧ آيةً من أصل ٣٤ آيةً تحدثت عنه)، ولعلَّ هذا يناسب اهتمام المدني بأهل الكتاب وعقائدهم.

٢. استغرق الحديث عن عيسىٰ -عليه السلام- مساحةً كبيرةً في القرآن الكريم، وليست هذه الآيات (**الأربع والثلاثون**) التي قام عليها البحث سوىٰ الآيات التي فيها اسمه، لكن السياقات التي اكتنفت هذه الآيات تضمُّ آياتٍ كثيرةً جدًّا.

٣. نبيُّ الله عيسىٰ -عليه السلام- هو أكثر نبيٍّ نوَّع القرآن الكريم في التَّعبير عنه.

٤. اختُص الجانب المكي بالتعبير عن عيسىٰ بـ(**ابن؛ ابنها، ابن مريم**)، واختُص الجانب المدني بالتعبير بـ(**المسيح عيسى ابن مريم، المسيح ابن مريم، المسيح**)، وأما التَّعبيران (**عيسى، عيسى ابن مريم**) فقد جاءا في كلا الجانبين، وتلك هي التَّشكيلات الستة التي عُبِّر بها عن عيسىٰ -عليه السلام.

٥. تشيرُ كلمة (**المسيح**) إلىٰ المعجزات التي أجراها الله علىٰ يد نبيه، وكلمة (**عيسى**) إلىٰ الرسول والرسالة، والتَّعبير (**ابن مريم**) إلىٰ كيفية مولده.

٦. يُعَدُّ التَّعبير (**عيسى ابن مريم**) أكثر تعبيرٍ ورد في أثناء الحديث عن عيسىٰ.

٧. عيسىٰ -عليه السلام- هو الرجل الوحيد الذي نُسب في القرآن الكريم: (**عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**)، وأمه -كذلك- هي الأنثىٰ الوحيدة التي نُسبت (**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ**)، كما أنَّ كلًّا منهما ورد ذِكره في القرآن (٣٤) مرةً.

قائمةُ المصادرِ والمراجعِ

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدِّين السّيوطيّ، تحقيق/ محمّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السّعوديّة، د/ ط، د/ ت.

٢. إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د/ ط، د/ ت.

٣. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تخريج وتدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدَّمام، المملكة العربية السعودية، ط/ ٢، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

٤. أسباب النزول (لُباب النقول في أسباب النزول)، جلال الدِّين السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢م.

٥. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد النُّوتي، أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣م.

٦. البرهان في علوم القرآن، بدر الدِّين الزّركشيّ، تحقيق/ محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار التّراث، القاهرة، ط/ ٣، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس: الزّبيدي، تحقيق: عبد السّتار أحمد فرّاج، مطبعة حكومة الكويت، د/ ط، ١٩٦٥م.

٨. التَّحرير والتَّنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونُسية للنشر، تونُس، د/ ط، ١٩٨٤م.

٩. تفسير القرآن الجليل المسمَّىٰ (مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسفي، سلسلة الذَّخائر، العدد/ ١٩٨، الهيئة العامة لقصور الثَّقافة، القاهرة، ٢٠١٠م.

١٠. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، المشهور بتفسير الفخر الرازي، محمد الرازي فخر الدِّين، دار الفكر، لبنان، ط/ ١، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١م.

١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطّبريّ): أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، دار هجر، الجيزة، مصر، ط/ ١، ٢٠٠١م.

١٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدِّين الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د/ ط، د/ ت.

١٣. الصحيح من أسباب النزول، عصام بن عبد المحسن الحميدان، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.

١٤. علوم القرآن: مدخل إلىٰ تفسير القرآن وبيان إعجازه، عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ ١، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١م.

١٥. القاموس المحيط: الفيروزآبادي، راجعه: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨م.

١٦. الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، جار الله الزَّمخشريّ، تحقيق: الشَّيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشَّيخ/ عليّ محمّد معوّض، وأ.د/ فتحي عبد الرّحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط/ ١، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م.

١٧. لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، مصر، دون بيانات نشر.

١٨. لمحات في علوم القرآن واتجاهات التَّفسير، محمد لطفي الـ صباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ ٣، ١٩٩٠م.

١٩. المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيَّة الأندلسيّ، تحقيق/ عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١م.

٢٠. مفردات ألفاظ القرآن: الرّاغب الأصفهانيّ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط/ ٤، ٢٠٠٩م.

٢١. مقاييس اللّغة، ابن فارس، تحقيق/ عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، د/ ط، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م.

٢٢. مورد الظمآن في علوم القرآن، صابر حسن محمد أبو سليمان، الدار السلفية، الهند، ط/ ١، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م.

٢٣. نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور: برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعيّ، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، د/ ط، د/ ت.

٢٤. الواضح في علوم القرآن، مصطفىٰ ديب البغا، ومحيي الدِّين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ودار العلوم الإنسانية، دمشق، ط/ ٢، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م.

فهرسُ الموضوعات

الموضوع	رقم الصّفحة
المقدمة.	٣٠٠
المبحثُ الأولُ: المسيحُ عيسىٰ ابنُ مريمَ.	٣٠٢
المبحثُ الثاني: المسيحُ ابنُ مريمَ.	٣١٦
المبحثُ الثالثُ: المسيحُ.	٣٢٠
المبحثُ الرابعُ: عيسىٰ ابنُ مريمَ.	٣٢٨
المبحثُ الخامسُ: عيسىٰ.	٣٣٥
المبحثُ السادسُ: ابن (ابنها، ابن مريم).	٣٤٢
الخاتمةُ.	٣٥٤
قائمةُ المصادرِ والمراجعِ.	٣٥٥
فهرسُ الموضوعاتِ.	٣٥٨